نداء حار إلى شباب الإسلام

الإمام محدث العصر الألباني رحمه الله

أقول وأخصُّ به المسلمين الثقات، المتمثلين في الشباب الواعي، الذي عرف أولًا مأساة المسلمين، واهتم ثانيًا بالبحث الصادق وبكل ما أتيه من قوة...بينما الملايين من المسلمين مسلمون بحكم الواقع الجغرافي؛ فهؤلاء لا أعنيهم بالحديث.

أعـود؛ فأقـول: إن الخـلاص عـلى أيـدي هـؤلاء الشـباب يتمثـل في أمريـن لا ثالـث لهـما: التصفيـة والتربيـة.

التصفية: وأعني بالتصفية: تقديم الإسلام على الشباب المسلم مصفىً من كل ما دخل فيه على مرِّ هذه القرون والسنين الطوال: من العقائد ومن الخرافات ومن البدع والضلالات، ومن ذلك ما دخل فيه من أحاديث غير صحيحة قد تكون موضوعة، فلابد من تحقيق هذه التصفية؛ لأنه بغيرها لا مجال أبداً لتحقيق أمنية هؤلاء المسلمين، الذين نعدهم من المصطفين المختارين في العالم الإسلامي الواسع.

فالتصفية هذه إنما يراد بها تقديم العلاج الذي هو الإسلام، الذي عالج ما يشبه هذه المشكلة، حينما كان العرب أذلاء، وكانوا من مستعبدين فارس والروم والحبشة من جهة، وكانوا يعبدون غير الله تبارك وتعالى من جهة أخرى.

نحن نخالف كل الحركات الإسلامية في هذه النقطة، ونرى أنه لا بد من البدء بالتصفية والتربية معًا، أما أن نبدأ بالأمور السياسية، والذين يشتغلون بالسياسة قد تكون عقائدهم خرابًا، وقد يكون سلوكهم من الناحية الإسلامية بعيدًا عن الشريعة، والذين يشتغلون بتكتيل الناس وتجميعهم على كلمة «إسلام» عامة ليس لهم مفاهيم واضحة في أذهان هؤلاء المتكتِّلين حول أولئك الدعاة، ومن ثم ليس لهذا الإسلام أي أثر في منطلقهم في حياتهم، ولهذا تجد كثيراً من هؤلاء وهؤلاء لا يحققون الإسلام في

ذوات أنفسهم.

وفي الوقت نفسه يرفع هؤلاء أصواتهم بأنه لا حكم إلا لله، ولابد أن يكون الحكم بما أنزل الله؛ وهذه كلمة حقٍّ، ولكن فاقد الشيء لا يعطيه؛ لأن العلة الكبرى: بُعدهم عن فهم الإسلام فهماً صحيحاً، كيف لا وفي الدعاة اليوم من يعد السلفيين بأنهم يضيعون عمرهم في التوحيد، ما أشد إغراق من يقول مثل هذا الكلام في الجهل؛ لأنه يتغافل -إن لم يكن غافلاً حقًّا- عن أن دعوة الأنبياء والرسل الكرام كانت ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

بل إن نوحاً عليه السلام أقام ألف سنة إلا خمسين عاماً، لا يشرع ولا يقيم سياسة؛ بل: يا قوم اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت.

هل كان هناك تشريع؟ هل كان هناك سياسة؟ لا شيء؛ تعالوا يا قوم اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت، فهذا أول رسول -بنص الحديث الصحيح- أُرسل إلى الأرض، استمرَّ في الدعوة ألف سنة إلا خمسين عاماً لا يدعو إلا إلى التوحيد، وهذا هو شغل السلفيين الشاغل، فكيف يسفه كثير من الدعاة الإسلاميين وينحطُّوا إلى درجة أن ينكروا ذلك على السلفيين.

التربية: والشطر الثاني من هذه الكلمة؛ يعني: أنه لا بد من تربية المسلمين اليوم على أساس ألا يفتنوا كما فُتِن الذين من قبلهم بالدنيا.

ويقول الرسول ﷺ: «ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم: أن تُفتح عليكم زهرة الحياة الدنيا، فتهلككم كما أهلكت الذين من قبلكم».

مرض يجب على المسلمين أن يتحصنَّوا منه، وأن لا يصل إلى قلوبهم: «حب الدنيا وكراهة الموت»، إذاً فهذا مرض لا بد من معالجته، وتربية الناس على أن يتخلصوا منه.

الحل وارد في ختام حديث الرسول عليه الصلاة والسلام: «حتى ترجعوا إلى دينكم»؛ حيث يتمثل الحل في العودة الصحيحة إلى الإسلام، الإسلام بالمفهوم الصحيح الذي كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته[1].

ولقد نصحني شيخي العلامة طاهر الجزائري نصيحة حفظت أوقاتي من الضياع وفكري من البلبلة؛ قال: «إذا أحببت النجاح فلا تلق بأذنك لما يقال فيك من خير وشر، وارم ببصرك إلى الهدف الذي يعنيك، وإذا وضع في طريقك حجر فتنح عنه، وعد إلى سلوك محجتك».

«مذكرات محمد كرد علي» (٢١٣/١).

(١) انظر «جامع تراث الألباني في المنهج والأحداث الكبرى» (٢/ ١٠٤) بتصرف.